المستقبل للإسلام

الكلام في هذا الموضوع في شطرين: بيان أسباب العداء للإسلام، ومقومات خلود الإسلام، ويتبعه بيان الطريق المتعين لإنقاذ الإسلام والمسلمين.

أولاً- أسباب العداء للإسلام في الفكر الغربي وغيره

المواجهة بين الإسلام والنظم والعقائد والأديان الأخرى وأتباعها ليست حديثة، وإنما هي قديمة قدم الإسلام منذ فجر دعوته في مكة المكرمة، ثم في المدينة المنورة، حيث جنّد الأعداء كل طاقاتهم المادية والعسكرية والفكرية والمعنوية للقضاء على الإسلام في مهده، واستمرت هذه الروح العدائية في عروق ودماء وعقول المناوئين لرسالة الإسلام، واشتدت أزمة العداء في العالم المعاصر حيث استغل الغربيون والصهاينة قوتهم العسكرية الطاغية، واقتصادياتهم المزدهرة، وتقدمهم الحضاري والتقني، وفي المقابل ظاهرة الضعف والتخلف والتفرق التي يعاني منها العالم الإسلامي والعربي.

واشتدت حملات تشويه الإسلام في معالمه العقدية والفكرية والتاريخية، فطعن المكَرَة الحاقدون بكل شيء في هذا الدين وأهله، ولم يسلم من ذلك القرآن وسنة النبي عليه الصلاة والسلام وسيرته، بل وشخصيته وسلوكياته ونظراته في الحياة.

وطغت النظرة المادية الغربية على كل شيء، فأهمل الغربيون أصول الأخلاق والقيم، وأهدروا بالفعل حقوق الإنسان في تصرفاتهم وتدخلاتهم في بلاد المسلمين والعرب، وقاوموا كل مسعى وعطلوا كل اتجاه أو نشاط نحو تطبيق الشريعة الإسلامية وإحلال القوانين الوضعية محلها، وعدم السماح بظهور الإسلام على الساحة السياسية، كما شاهدنا في حصار غزة لمدة ثلاثة أسابيع

امتدت حتى أوائل عام ٢٠٠٩م، وإبعاد الحركات والمنظمات والمساعي الإسلامية في الجزائر والصومال وأفغانستان، وبقية بلاد العالم الإسلامي والعربي في الوقت الحاضر، وكما نشاهد في هذه الأيام حملة الجيش الباكستاني وإمداد الغربيين لنظام الحكم بالمال[1] والسلاح للقضاء على محاولة تطبيق الشريعة في وادي سوات شرق باكستان، مما أدى إلى تهجير وتشريد أكثر من مليون ونصف شخص، وقتل المئات، وفرار أكثر من ربع مليون مسلم وعيشهم في الخيام أو العراء.

ولقد أسهمت مظاهر الفساد في تاريخنا القديم والحديث المتمثلة في ملازمة ظاهرة الترف لدى بعض الخلفاء الأمويين والعباسيين والعثمانيين، واقتحام ألوان الفساد والمجون وانتهاك حرمة الأخلاق الإسلامية، والاعتماد على نزعة الاستبداد والبطش بالمعارضة، والبعد عن أصول وروح المشاورة العربية والإسلامية، ثم بَذْر بذور الفرقة والاختلاف في الماضي والحاضر وإهمال تربية المرأة تربية دينية قويمة، وتشتت الأسرة، وتشرد الأولاد، وإفساد البيت العربي والمسلم بتقاليد غير عربية من سفور واضح، ولباس كاشف وواصف، وتقليعات ومظاهر وموضات لم يألفها العرب وغيرهم من المسلمين، وما أنزل الله بها من سلطان، وأصبحت المرأة تنافس الرجال في كل ميدان وظيفي واجتماعي وحركي في الشوارع والمقاصف والمنتزهات والمقاهي والنوادي وتأسيس الاتحادات النسائية وغيرها، وإهمال قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والترويج للهجات والكلمات والأساليب الغربية، وخلط أكثر الكلمات والجمل بالألفاظ الفرنسية والإنكليزية، هذا فضلاً عن اقتران مواسم السياحة في بعض البلاد العربية مع الأسف بالمجون والانحلال الأخلاقي، والعري في الشواطئ والموانئ البحرية، والاختلاط المشين، والتهتك الشنيع، والبغاء وممارسة الفاحشة علانية وسراً في بعض الموانئ، دون حياء ولا شرف، مع إرساليات

(١) حيث دفع الرئيس الفرنسي ساركوزي لحكام الباكستان ١٨ مليون دولار صراحة على التلفاز.

التبشير المدمرة، وبرامج القنوات الفضائية التي تهدم صرح الأسرة، وتشجع على الشذوذ والاعتداء على المحارم وتفكيك الروابط الأسرية تحت ذريعة أو مظلة التمدن المتحلل والتحرر المشبوه والفوضى، فضلاً عن تخصيص بعض الإذاعات في قبرص بمدد غربي نصراني حاقد للطعن بالإسلام.

ولم تقتصر أساليب الحضارة المادية الغربية المبرمجة في مظلة العولمة والانفتاح غير المحدود والتعاون والتنسيق مع حملات الصهيونية المدمرة والفاغرة لتبتلع مقدرات كل شعب ووطن، وتستهلك هضم وإفناء كل آمن ومواطن عريق، وطرده من مسكنه ومزرعته، وتشريده، وإجباره على النزوح عن الوطن بالتعسف والظلم، والقهر، والإبعاد القسري، والتجويع، والفصل العنصري كما نشاهد الآن في فلسطين ومنها القدس الجريح والخليل وغيرها، بقصد تهويد الأرض الفلسطينية العربية، معتمدين على الدعم الغربي غير المحدود، وتمرير الزمن لصالحهم.

وكما شاهدنا منذ أكثر من قرن مهاجمة ليبية بالطيران الأمريكي المدمر في طرابلس وبنغازي، والعدوان السافر الشامل للبر والبحر والجو.

بل صحب كل ذلك **وجودية** عارية عن كل دين وخلق وحداثة مبرمجة، تطالب علناً بالعربدة والفواحش الظاهرة والباطنة، بحجة كون الإنسان حراً يفعل ما يشاء، ويعيش كما يريد، كوحش في البرية بحسب قرارات مؤتمرات السكان في الصين ومصر وغيرها.

إن **الرأسمالية** الظالمة، والحضارة المادية المحضة، والعولمة المكشوفة الزيف، والأطماع الأمريكية والغربية في بلادنا وثرواتنا، والمخططات الصهيونية الماكرة، كلها حلقات متآزرة لاحتواء الإسلام وتحجيمه وإضعافه وتدميره من الداخل.

أمام وجود هذا السيل الجارف، والطغيان الظالم، لا بد من وضع الخطط والاستراتيجيات الحكيمة والقوية لصد طوفان هذه المخاطر، وتحطيم بغي التحديات القديمة والمعاصرة، وصد غارات الأسلحة المدمرة، وتبديد أهوال

الحضارة الحديثة التي ترصد لها إمكانات ضخمة في ميزانيات الدول الغربية من أجل تقليص الإسلام في دياره، وتشويهه في مبانيه، وإماتته بقوة الحديد والنار، وبالغزو المسموم للقلوب والأفكار، والقضاء على مقدرات الشعوب الإسلامية والعربية.

إن هذه التحديات الكبرى والأحداث العظمى تزيدنا تمسكاً بإيماننا ورسالتنا، وإصراراً على الالتزام بأصول نظامنا الإسلامي، وصمودنا الشديد الذي يحطم كل هذه المحاولات اليائسة؛ للنيل من قوة الإسلام وعزته وصلابته في حياته المديدة، وتعرضه لما هو أقسى وأعنف وأشرس من هذه الضربات الوحشية الظالمة، وتجاوز الصعاب والمحن، فإن رجالات الإسلام العظام في كل زمان ومكان كافحوا وناضلوا مع ضعف إمكاناتهم وقدراتهم، وحطموا هياكل الظلم، اعتماداً على قوة الإسلام الذاتية في كل مكان، وهو الذي أبقى كيان هذه الأمة عالياً، وحافظ على شخصية الجماعات والأوطان، مع افتقاد السلاح المتطور، والقوى المشابهة لما عند الأعداء الظالمين.

لقد حمى الإسلام الوطن الإسلامي في بداية عهده من ضربات المشركين الوثنيين العاتية، واليهود الماكرين وأعوانهم، وامتد ذلك عبر التاريخ في تحطيم هجمات الصليبيين في فلسطين، وصد جيوش التتار والمغول في الشرق، ودحر قوى الشر في الأندلس قديماً، حتى بقي الحكم الإسلامي فيها ثمانية قرون، علماً بأن الذين حموا الإسلام أمام أغلب القوى الغازية كانوا من غير العرب، إما من البربر في شمال المغرب العربي، وإما من الأكراد في مصر وبلاد الشام، وإما من المماليك في قهر التتار، الذين صمدوا في وجه بني جنسهم المهاجمين حمية للإسلام، لأنهم كانوا مسلمين أشداء، صمدوا بإيحاء قوي من العقيدة الإسلامية، وبقيادة روحية إسلامية من الإمام المسلم ابن تيمية الذي قاد التعبئة الروحية، وقاتل في مقدمة الصفوف.

وحمى القائد المظفر صلاح الدين الأيوبي منذ ثمانية قرون فلسطين وما جاورها من اندثار علوم القرآن والسنة، واندثار العروبة واللغة العربية، وهو

كردي لا عربي، وكان الإسلام في قلبه كالجبل الأشم، وهو الذي كافح الصليبيين في معركة حطين، كما كان الإسلام هو الدافع المهيمن في ضمير الظاهر بيبرس، والمظفر قطب الدين قطز في عين جالوت، والملك الناصر، في مكافحة التتار المتوحشين.

والإسلام هو الذي كافح في ليبية الأبية بقيادة البطل المغوار عمر المختار[١] أشهر مجاهدي طرابلس الغرب والجبل الأخضر مع خمسين فارساً في حربهم مع المستعمرين الإيطاليين، في **٢٦٣** معركة في خلال عشرين شهراً، حتى قتل شنقاً في بنغازي، بعد أن لقن الجيش الإيطالي ضربات قاسية جداً، فهو شيخ المجاهدين، رحمه الله.

والإسلام هو الذي كافح في الجزائر مئة وخمسين عاماً، وقدم أبطاله أكثر من مليون ونصف شهيد، وأبقوا العروبة والإسلام فيها بمقاومة شديدة ومستمرة، وبإيقاظ الحركة الإسلامية التي قام بها المجاهد عبد الحميد بن باديس، حتى قهروا فرنسة وقوات حلف الأطلسي، وانتزعوا الاستقلال بشرف وإباء وتضحية نادرة، وهذا ما يعرفه الفرنسيون والصليبيون الجدد، فهم الذين يعلنون حرباً على المسلمين في كل مكان وزمان، وهم بقادتهم على لسان بعض رؤساء جمهوريتهم مسيو شيراك يقولون: لن نسمح بقيام نظام إسلامي في الجزائر.

والإسلام هو الذي قاوم الإنكليز في السودان في ثورة المهدي الكبير على الاحتلال البريطاني عسكرياً وفكرياً، كما تشهد رسائل (عثمان دقنة) لكتشنر وكرومو وتوفيق.

وأول انتفاضة في مُرّاكش كانت منبثقة من الروح الإسلامي، وكان «الظهير البربري» الذي أوجده الفرنسيون سنة **١٩٣١**م، أرادوا به رد قبائل البربر إلى الوثنية وفصلهم عن الشريعة الإسلامية، هو الشرارة التي ألهبت كفاح مراكش ضد الفرنسيين.

---

(١) (١٢٧٥-١٣٥٠هـ/ ١٨٥٨-١٩٣١م).

وكذلك نشاهد اليوم المقاومة الإسلامية الباسلة تقلق الوجود الأمريكي والحلفاء في العراق، وأفغانستان، كما استطاعت أفغانستان قهر قوات وارسو والاتحاد السوفياتي وطردهم صاغرين من البلاد المسلمة.

إن خصائص الإسلام الكبرى في الاعتزاز بالله تعالى والعبودية له والإيمان الصلب بالله، ورفض الاستعانة بغير الله، وملاءمته للفطرة والانطلاق من تعاليم القرآن المجيد في الجهاد في سبيل الله، وقهر المعتدين والاستهداء بجهاد النبي ﷺ وصحبه العظماء الأشداء، كل ذلك وغيره كفيل بقهر الأعداء، وصد غارات المستعمرين الاستغلالية فكرياً وعسكرياً، ومن أجل هذه الخصائص يريدون تشويه رسالة الإسلام، ووصفه في أوربة وأمريكة بالإرهاب، وإطلاق حملات التشويه والخداع والتضليل عليه، والإساءة إلى القرآن والنبي بألوان خسيسة وحاقدة، وبما فعلوه بمعتقلي غوانتانامو وسجن أبي غريب في العراق في ألفي صورة تعذيب همجية، وسبّ الإسلام، وممارسة أحط صور الوحشية في العراق وأفغانستان وغيرهما على مدى سنوات الاستعمار البغيض، والتدخل المقيت في شؤون المسلمين والعرب، ونهب ثرواتهم، والاعتداء على مقدساتهم، كما يفعل الصهاينة الأوغاد بتأييد الغرب وأمريكة في فلسطين.

إنهم يريدون إيجاد صورة هزيلة للإسلام، وتحطيم المارد الجبار المسلم لتتحقق أحلام وغايات الصهيونية العالمية، والصليبية العالمية، والاستعمار العالمي، والتخلص من هذا المارد والمناضل العنيد.

إن خصائص الإسلام الذاتية هي التي تزعج أعداءه الطامعين وتحرضهم على إضعافه ونهب ثرواته وخيراته، فهذه هي حقيقة المعركة، وهذه هي دوافعها الأصلية والماثلة على الدوام في أذهان الغربيين والأمريكان.

ثانياً- مقومات خلود الإسلام

إن **المستقبل للإسلام** هذا الدين الإلهي الخالد، للخصائص والأسباب الآتية:

١- **الإسلام منهج حياة بشرية جبارة لا تقبل المساومة ولا الذوبان** ولا الإهمال، منهج يشمل التصور الاعتقادي الذي يفسر طبيعة الوجود ويحدد مكان الإنسان ورسالته في هذا الوجود، كما يحدد غاية وجوده الإنساني، ويشمل النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإيمانية والإعلامية، والتنظيمات الواقعية النابعة من ذلك التصور الاعتقادي والنظام التشريعي والأخلاقي الدولي.

المستقبل للإسلام باعتباره منهج حياة يشتمل على هذه المقومات الخالدة، والمترابطة، والمنظِّمة لشتى جوانب الحياة الإنسانية على الدوام.

إن حاجة البشرية اليوم وفي كل زمان إلى هذا المنهج المتكامل والراسخ والصامد ليست بأقل من حاجتها إليه في الماضي.

٢- **الإسلام دين الفطرة والحرية**، فطرة الكون والإنسان والحياة الآمنة المستقرة، وهو رصيد هائل ضخم، أقوى وأعز وأمنع على الفطرة من مفرزات الحضارة المادية الخالية من الروحانيات والفطرة السوية، وإذا تصادمت هذه الحضارة مع الفطرة، فلا بد من تحقيق الظفر والنصر للفطرة الإلهية الربانية.

إن الفطرة غالبة على ركام الحضارة الغربية، فعلينا الإبقاء عليها، والارتقاء إلى مستوى هذا الدين، وإلى مستوى حقيقة إيماننا بالله تعالى، وحقيقة معرفتنا بالله، فمعرفة الله تعالى هي الهادية إلى كل الطرق وإن أظلمت، فعلينا أن نرتقي إلى مستوى الفطرة في عبادتنا لله، فإننا لن نعرفه حق المعرفة إلا إذا عبدناه حق العبادة.

إن قانون الفطرة واضح في صلب تعاليم القرآن القائمة على الأمن والأمان، والعدل والاستقرار، والحرية والوئام، فقال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠/ ٣٠] وقال سبحانه: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢/ ١٣٨].

صحيح أننا لسنا في مستوى الحضارة المادية الغربية، وما قدمته للعالم في مجال تطور علوم الصناعة والفضاء والتكنولوجية (التقنية) والطاقة، وما أفرزته من اختراع آلات حققت فعلاً الراحة البشرية، لكننا نملك أقوى من هذه الحضارة ألا وهو صلابة العقيدة والإيمان، ومعطيات القرآن، وصناعة التاريخ العريق الجامع بين المادة والروح، وبين الواقع والفضيلة، وبين الدنيا والآخرة، قال الإمام عمر: «إن الله أعزكم بالإسلام، فمهما تطلبوا العزة بغيره أذلكم الله».

٣- **إن قوة الإسلام، وعظمة توجيهات القرآن،** ومقومات ذاتية المسلمين نابعة من صلابة الإيمان الذي يحطّم كل الصعاب، وإن الإيمان بالله باعث نهضة، وصمام أمان، وشاحذ العزائم، وحامي الإنسان من كل عوامل الضعف والانهزام، وإن الإنسان من غير عقيدة كهف مظلم، أو جماد راكد، وهل هناك عقيدة صالحة ومكينة غير عقيدة الإسلام؟ إن عقيدة الإسلام رباط جامع، ومنطلق منظم وخالد، وعامل على تآلف البشر، ومرشد إلى أعلى درجات الرقي في الدنيا والآخرة.

قال الفيلسوف المستشرق الغربي (جب): «وليس هناك غير ديانة الإسلام يمكن أن تنجح نجاحاً باهراً في تآلف الأجناس المتنافرة في جهة واحدة أساسها الإسلام».

أما أسباب تخلفنا وهبوطنا عن مستوى عقيدة الإسلام فهي كثيرة، قديمة ومعاصرة. أما القديم منها فتتمثل في المؤامرات والمكائد الخانقة التي حاكها الأعداء ضد الإسلام، من اليهود، والمنافقين، والموالي الدخيلة في أعماق الحياة الإسلامية.

وأما أهم الأسباب المعاصرة فهي وضع الأعداء الغربيين مجموعة من العراقيل، أمام النهضة، ولا سيما إعداد الصناعة الثقيلة، وإبقائنا مجرد مستهلكين لا منتجين، وإثارة النعرات العصبية، وزرع داء الفرقة بخلق مشكلات معقدة، وإيجاد كيان صهيوني بغيض في قلب البلاد العربية.

ثم تحولت هذه العراقيل في أيامنا إلى تحديات كثيرة، منها محاولة النيل من

شخصية النبي ﷺ لتنفير الناس من الدخول في الإسلام، في مسيرة الإقبال على هذا الدين، ولا سيما بعد أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١م، ومنها العبث بالقرآن والمطالبة بتفسيره تفسيراً يفرغه من محتواه، ومنها تشويه التاريخ الإسلامي عبر القرون، ومنها وضع الخطة الاستراتيجية لاحتواء الإسلام وتحجيمه، وتغيير مناهج الأزهر والمؤسسات التعليمية الأخرى، ومنها إضعاف اللغة العربية لغة القرآن، لصرف الناس عن القرآن، وتاريخ الإسلام الذهبي وقصرها على المتخصصين... إلخ.

٤- **شمولية الإسلام ورسالته**: الإسلام نظام جامع بين الدين والدولة، وبين العقيدة ونظام الحياة، في آفاقها المختلفة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والإعلامية، والربط بين الدنيا والآخرة، علماً بأن الإسلام ينظم العلاقات الثلاث: علاقة الإنسان بربه، وعلاقته بمجتمعه، وعلاقته بنفسه، وهو رسالة للفرد كي ينمو، وللأسرة كي تتمكن وتسعد وتتماسك، وللأمة كي تتوحد، وللإنسانية حتى تتعاون وتتآزر وتتعارف.

وهو رسالة إلى الوعي والعقل والفكر والتأمل، من أجل تحقيق توازن وتكامل بين الاتجاه الجماعي والفردي، حتى لا يوجد تقصير ولا ظلم، ولا اضطراب ولا فتن ولا قلاقل في تفعيل آفاق هذه الرسالة.

وهو رسالة بناء وتنمية، لا تخلف ولا قصور في شيء، وما قد يكون من تخلف فهو بسبب ظروف معينة، وتدخل غربي سافر وطامع، وزرع فرقة مزمنة دائمة.

وقد أبان القرآن الكريم مضامين هذه الرسالة في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ * يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ٥/ ١٥-١٦]، ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٦/ ٣٨]، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾

[المائدة: ٥/ ٣]، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٦/ ٨٩].

٥- كون الإسلام قائماً على **أخلاق ومبادئ رصينة** مقترنة بالإيمان أو الاعتقاد الحق، بالعبادة وممارستها، وبالمعاملات وتحديد غاياتها، وبالعلاقات الإنسانية والدولية وتحقيق آفاقها في الواقع، وفي مجال النشاط الإنساني الخاص والعام، وفي نظام الأسرة، وفي عالم القضاء والإثبات والسلم والحرب على السواء.

قال الله تعالى محدداً الوصايا العشر في كل الديانات: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾ [الأنعام: ٦/ ١٥١-١٥٣].

وفي مجال العلاقات الإنسانية وضع الحق سبحانه خطة التعاون بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾ [الحجرات: ٤٩/ ١٣].

والإسلام يدعو إلى السلم لا الإرهاب المزعوم الذي تورط به بعض الشبان المتهورين، فقال الله في قرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٠٨)﴾ [البقرة: ٢/ ٢٠٨].

وتنمية العلاقات بين المسلمين وغيرهم في الداخل والخارج أساس هذه العلاقات، لقوله عز وجل: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ

قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة: ٦٠/٨-٩].

وفي أدنى مقارنة أو موازنة بين صنيع المسلمين في التاريخ وصنيع الغربيين أو بعض الشرقيين الآن في بلاد العالم، وفي أفغانستان والعراق، ولدى مشاهدة جرائم الصهاينة في فلسطين القائمة على الإبادة والتشريد وهدم المنازل أو طرد العرب من مساكنهم، وقلع الأشجار المثمرة ومصادرة الأراضي، وبناء جدار الفصل العنصري وتهويد القدس وغيرها، يتبين لنا من كل ذلك سمو الإسلام والمسلمين، ووحشية غيرهم في كل مكان.

فنحن المسلمين كانت أخلاقنا بعد الحرب دليلاً قوياً قطعياً على أن الإسلام - دين العالم - هو من عند الله:

ملكنا فكان العدل منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم أبْطَح[1]
وحلَّلتم قتل الأُسارى، وطالما ... غدونا على الأسرى نمنّ ونصفح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل إناء بالذي فيه ينضح

٦- صان الإسلام نظرياً وعملياً في مجال القضاء وغيره **حقوق الإنسان** في الحياة والحرية الدينية وحرية التعبير عن الرأي، والعدل، والمساواة، والمواطنة، وحرية التنقل والاقتصاد وغير ذلك، اعتماداً على مبدأ الحفاظ على الكرامة الإنسانية، في الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ١٧/ ٧٠] وقوله جل جلاله: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢/٢٥٦].

٧- التزام المسلمون في حروبهم لصد العدوان **مبادئ الأخلاق والآداب العليا**، بمراعاة مقتضيات الفضيلة والتقوى (مراقبة الله في السر والعلن) واحترام الإنسانية والدعوة إلى الإخاء الإنساني حتى مع الوثنيين، واحترام العهود والمواثيق والوفاء بها، وتحريم الغدر والخيانة ظاهراً وباطناً دون ازدواجية أو كيل بمكيالين كما تفعل أمريكة وأوربة الآن، وتطبيق العدالة الشاملة، والمعاملة

(١) الأبطح: سيل واسع فيه دُقاق الحصى.

بالمثل إذا لم يترتب عليها الإخلال بالمثل والآداب، حفاظاً على الفضيلة، من غير إسفاف ولا تمثيل بالقتلى ولا تعذيب، ولا ترك لميت في العراء من غير دفن، فإن ارتكب العدو مع المسلمين ما يخل بالآداب فلا معاملة بالمثل، خلافاً لما يفعل الغربيون والأمريكيون على مر تاريخهم القديم والمعاصر، ولما شاهدنا من صور المعذبين التي تجاوزت ألفي صورة في العراق، وكذلك تعذيب الصهاينة الأسرى وتعرية النساء لمجرد أنهن طالبن بإطلاق سراح أسراهن.

٨- **الأهداف الإسلامية في الحرب والسلم** تقتصر على نشر الدعوة الإسلامية بالحكمة والموعظة الحسنة، والإقناع والاقتناع والحوار دون إجبار ولا إكراه، وبالمنطق المجرد، ودون أطماع مادية، ولا حجب للناس غير المسلمين من نشاطهم الاقتصادي المحلي خلافاً لمنهج العولمة المعاصرة.

إذن ثمة فرق كبير بين حضارتنا الإنسانية وحضارة الآخرين.

- هذه الحضارة التي تتقيد بأهدافها أخذت من العرب الوثنية المتردية والقبائل المتفرقة والحياة الخشنة والعزلة الموحشة، وأعطتهم توحيداً متسامياً، وعيشاً رخياً، وأمة واحدة، وقيادة لموكب النور في تاريخ الإنسانية كلها.

- وأخذت من العالم عقائده المتفسخة وملوكه الظلمة، وحيوانيته المتقاتلة، وأعطته العقيدة المحرِّرة، والقيادة الساهرة، والإنسانية النبيلة.

- وأخذت من العرب أبا جهل، وأعطتهم **أبا بكر**.

- وأخذت من الشام هرقل، وأعطتهم **معاوية**.

- وأخذت من مصر المقوقس، وأعطتهم **عَمْراً**!.

- وأخذت من الفرس مُزْدك وأعطتهم **أبا حنيفة**.

- وأخذت من قيادة العالم رُستم وقيصر، وأعطتهم **خالداً وعمر**.

- وبذلك كانت حضارة **إلهية** في قدسيتها، **محمدية** في قيادتها، **عربية** في نشأتها، **إنسانية** في نزعتها، **عالمية** في رسالتها(١).

---

(١) اشتراكية الإسلام، أ.د. مصطفى السباعي: ص١٣٢-١٣٣، ١٥٤-١٥٥.

واليوم يتطلع العالم إلى هذه الحضارة المشرقة الأصيلة، فإن الجاهلية تعود من جديد، وإن الإلحاد العالمي يزحف إلى الأفكار ليملأها بالضلالة، وإلى البصائر ليطمسها بالشك، وذلك كله جعلنا نؤمن بأن **شمس الإسلام ستشرق من جديد** على الكون فتملؤه نوراً.

٩- إن **حضارتنا القائمة على الجمع بين الروح والمادة** ستبقى خالدة، والحضارة الغربية القائمة على المادة وحدها مهددة بالانهيار والانقراض، بدليل كثرة الانتحار في بلاد الغرب، والمظالم والشذوذ والفوضى.

إن الحضارة الإسلامية - كما تقدم - تنبثق من الإيمان بالله الواحد القهار، وتسعى لتحرير الإنسان وإسعاده، ويقظة فكره وعقله وضميره، لأن الحرية تولد مع الإنسان وتحيا بحياته، قال الإمام عمر رضي الله عنه: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً!».

ومبادئ الإسلام الداخلية سجّلتها صحيفة المدينة المنورة على يد الرسول ﷺ في خمسة عشر بنداً بين المهاجرين والأنصار، وهي تتلخص في وحدة الأمة، وتساوي أبنائها في الحقوق والكرامة، وتكاتف الأمة كلها ضد الظلم والعدوان والفساد، واشتراك الأمة في تقدير نظام العلاقات مع أعدائها، وتأسيس المجتمع على أحسن النظم، ومكافحة الخارجين على الدولة ونظامها العام، وحماية المسالمين، واستقلال غير المسلمين بدينهم وأموالهم، وإسهام غير المسلمين في نفقات الدولة، وتعاون غير المسلمين في الدولة الإسلامية لدرء الخطر عن كيان الدولة ضد كل عدوان. والاشتراك في نفقات القتال، ونصرة الدولة من يُظلم من غير المسلمين كالمسلمين، وامتناع جميع المواطنين من حماية أعداء الدولة وكون مصلحة الأمة تقتضي وحدتها في قبول الصلح، والتزام مبدأ المسؤولية الفردية فلا يؤاخذ إنسان بذنب غيره، وتقرير حرية الانتقال في داخل الدولة وخارجها، وألا حماية لآثم ولا لظالم، وكون أساس المجتمع التعاون على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان.

هذه المبادئ تحميها قوتان: قوة معنوية؛ وهي إيمان الشعب بالله ومراقبته له، وقوة مادية هي رئاسة الدولة التي يرأسها محمد النبي ﷺ.

١٠- **أسباب امتداد الدعوة الإسلامية** وانتشارها في العالم يمثلها موقف فذ لقائدين:

الأول- عبادة بن الصامت في قوله للمقوقس عظيم القبط: «إنما رغبتنا وهمتنا في الله واتباع رضوانه، وليس غزونا لعدونا ممن حارب الله لرغبة في دنيا ولا طلب للاستكثار منها، لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعه ليله ونهاره، وشملة يلتحفها، لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم، ورخاءها ليس برخاء، إنما النعيم والرخاء في الآخرة»[(١)].

الثاني- قول رِبْعي بن عامر لرستم قائد الفرس الذي سأل: ما جاء بكم؟ فقال ربعي: «إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام..»[(٢)].

وأما الأطماع المادية فلا يعرفها الإسلام، قال الخليفة عمر بن عبد العزيز: «إن الله بعث محمداً بالحق هادياً، ولم يبعثه جابياً».

١١- دستور **الإسلام هو القرآن**، وخلود الإسلام بخصائصه الكبرى المتقدم بيانها، وبتأييد الله عز وجل في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ١٥/ ٩] وبوعده الذي لا ينقض في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۝١٠٥﴾ [الأنبياء: ٢١/ ١٠٥] وذلك سواء أكانت الأرض هي الجنة في رأي البيضاوي، أم في الدنيا وهو الأنسب لإطلاق اللفظ، وبمقومات حضارتنا الإسلامية في قول الله سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا

(١) السلام والحرب في الإسلام، م. محمد فرج: ص١٢٣، ط دار الفكر العربي بمصر، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير في وقعة القادسية، ط بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٨م.

يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٢٤/ ٥٥]؛ أي إن الاستخلاف في الأرض والسيادة عليها مقيد باستقامة المنهاج، واتباع الشريعة، والتزام السلوك الحسن، للآية: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٢٢/ ٤١].

إن هذه الركائز والمقومات تحدد معالم المستقبل الخالد، حتى لو فتن الناس بالحضارة الحديثة ومعطياتها، فهذه ليست خالدة، إنما الخلود للقيم العليا، والمبادئ السامية، والأصول العريقة، وإن المستقبل للإسلام لا لغيره، بشرط أن يكون المسلمون أنفسهم على مستوى الإسلام وقوته ومجده وتوجيهاته ومعطياته، والعرب بالإسلام وحده دخلوا التاريخ، وعرفتهم القارات الخمس، ولن يقوم للعرب مُلك سامٍ إلا على أساس نبوة، ولا تنهض لهم دولة إلا على أساس دين، وإن الإيمان بالله وحده هو الذي ينظم ملكاتهم، ويصون مواهبهم، ويجمع قواهم، ويوحد كلمتهم، كما أوضح القرآن المجيد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٨/ ٦٣].

ويكون المبدأ المقرر هو «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها». وبما أنه صلح أولها في البداية بالإسلام، فكذلك يصلح آخرها، ويعود لها عزها ومجدها بالإسلام وحده(١).

---

(١) مراجع للاستزادة: مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه؟ الشيخ محمد الغزالي. المستقبل للإسلام، للأستاذ أحمد عبد الجواد الرومي، المستقبل لهذا الدين للأستاذ سيد قطب.